



أهمية سوريا لاستراتيجية داعش هل يمكن هزيمة داعش بدون حل في سوريا؟

ورقة بحثية
سبتمبر/أيلول ٢٠٢٢

عبدالله عرفان

زميل غير مقيم، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية، واشنطن دي سي، وزميل غير مقيم، مركز ستيمسون فرع أوروبا، بروكسل.

مقدمة :

ما زالت داعش تشكل تهديداً جدياً يتطلب فهماً ومعالجة شاملة حتى بعد أكثر من ثلاثة أعوام على دحرها. مثلت محاولة هروب مساجين منتسبين لداعش من سجن غويران في الحسكة في يناير ٢٠٢٢ مناسبة للتذكّر أن خطر داعش مازال ماثلاً بظل أسود. من غير المعروف إلى الآن كم عدد المساجين الهارين، لكن عدد القتلى قارب الخمسمائة مقاتل من داعش وقوات سوريا الديمقراطية.^١ هذه هي أكبر خسارة بشرية لقوات سوريا الديمقراطية منذ دحر التنظيم في ٢٠١٩ في آخر معاقله في الباغوز بدير الزور بسوريا. ورغم كل جهود التحالف الدولي وقوات سوريا الديمقراطية ضد داعش، مازال عدد مقاتلي داعش في سورياً كبيراً، حيث يعتقد بوجود ١٠,٠٠٠ مقاتل على الأقل في سوريا والعراق مجتمعين، نصفهم من المحتمل أن يكونوا في سوريا بشكل عام وفي شمال شرقها بشكل أكثر كثافة من باقي المناطق السورية. وإضافة حوالي ١٠,٠٠٠ من المقاتلين السابقين لداعش في السجون في شمال شرق سوريا، وحوالي ٧٠,٠٠٠ من نساء وأطفال التنظيم في المعسكرات المنتشرة في شمال شرق سوريا تصبح سورياً أكبر تجمع للتنظيم في العالم.^٢ هذا التداخل بين مشكلة داعش وأزمة سوريا يبرز عمق القضية .

فبعد ١١ عاماً من الحرب، مازالت سوريا تحتل بؤرة الأخبار لكل ما هو مفرغ وكرثي نتيجة للعديد من الأسباب. وضع عسكري غير مستقر كنتيجة لاستمرار العمليات من قبل تركيا، وإيران، والحكومة السورية، وإسرائيل. ووضع أمني سائل نتيجة ضعف سيطرة الشرطة خارج المدن وترامي الحدود ضعيفة الحراسة مع العراق والأردن. ووضع إنساني متدهور نتيجة لعدم قدرة أغلبية السكان على تلبية الاحتياجات الأساسية حتى البدائية منها مثل الماء والخبز والدواء.^٣ ووضع اقتصادي لا يمكن تخيله من حيث بلوغ معدلات الفقر لأكثر من ٨٠٪ من السكان، ومعدلات البطالة لأكثر من ٤٠٪ ومعدلات التضخم إلى درجة يصعب متابعتها من سرعة التدهور في سعر العملة.^٤ ووضع حوكمي متشرذم ومتسلط وغير كفؤ من حيث وجود أربع سلطات ذات بني حوكمية مختلفة --الحكومة السورية، الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا، الحكومة المؤقتة في شمال غرب سوريا، وحكومة الإنقاذ في إدلب-- لا تنسق فيما بينها، وتعاني جميعها من نقص الموارد والكفاءات وتدهور حالة تقديم الخدمات والأمن. ووضع سياسي انتقالي ممتد يسمح لقوي الأمر الواقع بالاستمرار ويحول دون أي ادماج انتقائي أو شامل في الحكم لأي منهم بانتظار الحل النهائي.^٥ أزمات متداخلة ومعقدة تضاف إلى أخطار وجود داعش في سوريا مما يطرح سؤالاً هاماً: هل يمكن بشكل واقعي التخلص من خطر التنظيم قبل حلحلة هذه الأزمات؟

قبل الإجابة على السؤال دعنا نخطو خطوة للخلف لإدراك مكانة سوريا لدي التنظيم. فعلي الرغم من كل هذا التدهور الحاد على كل الأصعدة في سوريا، لا تمثل سوريا الجبهة الأنيث بالنسبة لداعش، حيث تسبقها العمليات في أفغانستان تليها أفريقيا (مالي، نيجيريا، أوغندا، الكونجو الديمقراطية وغيرهم)، ثم تليها العراق وبعدها سوريا. تمتد القائمة بعد سوريا إلى سيناء مصر وصحراء النقب في إسرائيل، وكذلك اليمن وليبيا. أتتشابه ظروف هذه الدول والمناطق مع سوريا من جهة انهيار الدولة أو فشلها من النواحي الاقتصادية والسياسية والأمنية.^٦ قد يعزي النجاح في خفض أنشطة داعش في سوريا

^١ تشير التقارير المتضاربة إلى أرقام تتراوح بين ١٤٠ إلى ٤٠٠. العدد الحقيقي غير معروف، لكنه أقل من ٤٠٠ بكل تأكيد. يمكن مراجعة: محمد حسان، سامير الأحمد، ١٤ فبراير ٢٠٢٢، "نظرة مقربة على هجوم

داعش على سجن الصناعة السوري"، معهد الشرق الأوسط، <https://tinyurl.com/2p86jhsz>

^٢ وفقاً لآخر تقديرات الأمم المتحدة مخيم الهول فقط يحتوي على ٥٦ ألف منفرداً، لذلك يجب دوماً تذكر أن هناك ٩ مخيمات أخرى في شمال شرق سوريا، ٥ يونيو ٢٠٢٢، "زيارة لمخيم الهول في شمال شرق سوريا".

ريليف ويب، <https://tinyurl.com/2p8puh4e>

^٣ تحديث الوضع الإنساني في سوريا، العدد الأول، يونيو ٢٠٢٢، مكتب الأمم المتحدة لتنسيق القضايا الإنسانية (OCH)، <https://tinyurl.com/47nnaa7z>

^٤ مرصد الاقتصاد السوري، خريف ٢٠٢٢، "الجيل الضائع من السوريين"، البنك الدولي، <https://tinyurl.com/bdchcm9t>

^٥ للمزيد يمكن مراجعة محاضرة نظمها المركز العربي بواشنطن دي سي في ٢ أغسطس/آب ٢٠٢٢ بعنوان الحوكمة والشرذمة في سوريا: تقييم التحديات الإنسانية والسياسية، <https://tinyurl.com/bdeh5bav>

^٦ يمكن مراجعة مؤشر الإرهاب الدولي لعام ٢٠٢٢ الصادر عن معهد الاقتصاد والسلام، <https://tinyurl.com/v6tb32r9>

^٧ يمكن مراجعة مؤشرات هشاشة العراق وسوريا وأفغانستان في مؤشر هشاشة الدول لعام ٢٠٢٢ الصادر عن مؤسسة صندوق السلام، <https://fragilestatesindex.org>

إلى نشاط قوات التحالف الدولي وكذلك قوات سوريا الديمقراطية وتضحياتهم. الحل الأمني يبدو ناجعاً، لكنه غير مستدام. لهذا لا يجب التعامى عن أهمية استمرار الجهود المبذولة لتحسين الأوضاع الأمنية والاقتصادية وكذلك السياسية في كل سوريا وفي شمال شرق على وجه الخصوص لضمان اختفاء خطر عودة داعش .

يهدف هذا البحث لتوضيح أهمية سوريا لتنظيم داعش دولياً، وتفصيل سياقات عمل التنظيم الأمنية والاقتصادية والسياسية في شمال شرق سوريا، وتناول التحديات التي تواجه القائمين على مواجهة التنظيم مثل التحالف الدولي والإدارة الذاتية وقسد، وختاماً سيتعرض لنقاش حول المسارات المتاحة للتعامل مع التحديات العاجلة. ولتفادي التعميم، سيحاول البحث التركيز على دير الزور كمنطقة يعبر عن كل التحديات الأمنية والاقتصادية والسياسية في باقي شمال شرق سوريا. لا يعني التركيز على دير الزور تجاهل المناطق الأخرى أو كونها أقل أهمية. على العكس، هناك الكثير من نقاط التشابه بين دير الزور وغيره من المدن في شمال شرق سوريا، وغربها، ووسطها، وجنوبها مما سيساعد على توضيح الفكرة، وسيمكن من المقارنة التفصيلية مع البحوث المستقبلية على هذه المناطق الأخرى. ينطلق البحث من فرضية أن الحلول الأمنية للتعامل مع الإرهاب مهمة، لكنها لا تنجح وحدها بدون فهم وتحسين السياقات الاقتصادية والحوكومية والسياسية الأوسع. اعتمد البحث على مزيج من البحوث المكتوبة والمقابلات الميدانية مع مسؤولين في المجالس المحلية من منطقة شمال شرق سوريا ومن التحالف الدولي ضد داعش وكذلك مع نشطاء وخبراء مستقلين.^٨

الجزء الأول: السياق

أهمية سوريا لداعش:

إن انخفاض عدد العمليات المنسوبة لداعش في سوريا لا يعني أن سوريا غير مهمة لمستقبل التنظيم. في الحقيقة سوريا لها أهمية خاصة لتنظيم داعش لدواعي رمزية وعملية عديدة. رمزية سوريا تأتي من كونها مقر الخلافة السابق للتنظيم واستعادته في المستقبل سيكون له أثر معنوي كبير على المنتسبين والمتعاطفين حول العالم. من هذا المنطلق فإن إعطاء الانطباع بالقوة والسيطرة في مناطق مختلفة من سوريا هو انجاز في حد ذاته بغض النظر عن القوة والنفوذ الحقيقيين. من الناحية العملية، لدي التنظيم بنية تحتية اجتماعية قوية في سوريا لم تختف مع هزيمته في ٢٠١٩. توفر هذه البنية الحاضنة الغطاء اللازم لسرية الحركة، والتجنيد، والتمويل، وكذلك اللوجستيات الخاصة للعمليات العسكرية في سوريا أو خارجها. هذه البنية الاجتماعية تدعم التنظيم ليس بالضرورة بدافع الاعتقاد أو الولاء، بل أيضاً لدوافع سياسية متعلقة بمظلومية أهل المنطقة العرب التاريخية منذ سيطرة دمشق العلوية على شمال شرق سوريا في ستينات القرن العشرين، وحالياً من سيطرة الإدارة الذاتية ذات الغالبية الكردية على العرب منذ ٢٠١٩. كذلك فإن موقع سوريا استراتيجي للتنظيم من حيث محاذاتها للحدود مع العراق والأردن بامتداداتها القبلية والعائلية الهامة لتمويل وتنفيذ عمليات التنظيم. وسوريا أيضاً قريبة جغرافياً من إسرائيل وسيناء وهما مناطق مرشحة لتوسع عمليات التنظيم في المستقبل.^٩

سوريا مهمة للتنظيم أيضاً بسبب وجود ما يقرب من ١٠,٠٠٠ مقاتل سابق من داعش مسجونين في شمال شرق سوريا تحت سيطرة الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية. لهذا العدد الكبير من المقاتلين المنتمين للتنظيم بدرجات مختلفة من الولاء يمثل الأمل في استعادة قوة عسكرية مهمة من ناحية العدد وكذلك من ناحية الخبرات للعمليات المستقبلية. هؤلاء المساجين لديهم خبرات عريضة في العمل في وظائف مختلفة داخل التنظيم من التمويل للتجنيد للقتال بأشكاله المختلفة. استعادة هؤلاء المقاتلين مهم أيضاً من الناحية المعنوية والشخصية للمقاتلين الحاليين خارج السجون. حيث إن المساجين هم أصدقائهم أو أقربائهم أو قادتهم السابقين. لهذه الأسباب مجتمعة من المتوقع أن

^٨ ساهم زياد عواد في المقابلات والمسودة الأولية للورقة البحثية هذه. يتحمل المؤلف كل المسؤولية عن الإخراج النهائي للورقة في صورتها الحالية.

^٩ تم ذكر العديد من أوجه أهمية سوريا للتنظيم في مقابلات مع خبراء ومسؤولين من المنطقة في مارس/آذار ٢٠٢٢. يمكن أيضاً مراجعة: باتريك هايني و آرثر كوينسي، ٥ أبريل ٢٠٢٢، "التسلل من خلال الشقوق: احياء

داعش في سوريا والعراق"، معهد الجامعة الأوروبية بفلورنسا. <https://tinyurl.com/vpfp3ck>

^{١٠} لا يوجد إحصاء دقيق لعدد مقاتلي داعش في أي مكان في العالم، بما فيهم عدد مقاتليهم في السجون القابعة في شمال شرق سوريا

تستمر الهجمات على السجون ومحاولة تهريب مقاتلين داعش في المستقبل، وفي حال نجاحها سيكون لها أسوأ العواقب. بجانب السجون، فهناك المعسكرات التي يقبع فيها نساء وأطفال مقاتلي داعش والذين يصل عددهم إلى أكثر من ٧٠ ألف من العراقيين والسوريين والأجانب. هؤلاء أيضاً يمثلون أهمية رمزية ومادية للتنظيم. أطفال ونساء داعش هم الأمل في تكاثر أعداد التنظيم لجلب اتباع تربطهم صلة الدم بفكرة الخلافة بجانب الرابط الأيديولوجي. كذلك فإن هؤلاء النسوة لديهم وظائف مهمة داخل التنظيم مرتبطة بالتمويل والاتصال. بجمع عدد المقاتلين في السجون مع عدد النساء والأطفال في المخيمات من المحتمل أن يصل العدد الإجمالي لداعش ومنتسبيه في كل سوريا إلى أكثر من ٩٠.٠٠٠. هذا العدد يجعل سوريا المكان الأعلى عالمياً من حيث عدد منتسبي داعش.

داعش في سوريا بعد ٢٠١٩

ينشط التنظيم في مناطق مختلفة في شمال شرق سوريا لأغراض مختلفة، لكن بدون محاولة تحقيق السيطرة المطلقة على بقعة جغرافية معينة. فهناك المناطق الهامة للتمويل، والتجنيد والتدريب وتلك الهامة للتنظيم بسبب تركيز عدد كبير من منتسبي داعش أو عوائلهم بها. في الوقت الحالي، لا يتحدى التنظيم منظومة حكم الإدارة الذاتية في دير الزور، لكنه يقوم على ترويضها بعقد صفقات مع المسؤولين المحليين أو توجيه تحذيرات لهم بعدم التعرض لأعضاء التنظيم، وغض الطرف عن أنشطتهم، وكذلك ادماجهم في منظومة المساعدات الدولية. في بعض الحالات قد يقوم التنظيم بإعاقة عمل المؤسسات المحلية عبر منع انخراط السكان بها سواء كأعضاء أو مسؤولين أو حتى موظفين. في أكثر من حالة نجح التنظيم في إرغام أعضاء المجالس على حلها كما في حالة بلدي سويدان وأبو حردوب في يونيو/حزيران ويوليو/تموز ١٢.٢٠١٩

لا يتمتع التنظيم بالقدرات المالية الهائلة لما قبل السقوط في ٢٠١٩. لكنه مع ذلك ما زال قادراً على توليد دخل كاف لتمويل عملياته المتفاوتة التعقيد وكذلك تزويد منتسبيه برواتب لمعيشتهم. تتركز مصادر التمويل لداعش في سوريا في الأتاوى التي يفرضها التنظيم على شكل زكاة على كل من تجار ومستثمري آبار النفط، وعلى التجار والمقاولين والملوك المحليين، وعلى بعض المسؤولين العسكريين والمدنيين الفاسدين في صفوف قسد ومجلس دير الزور المدني والمجالس الفرعية المنبثقة عنه. ففي بعض آبار النفط البعيدة عن المواقع الرئيسية للحقول، والتي لا تحظى بأي حماية من قسد، يفرض تنظيم داعش حصة ثابتة من عائدات الآبار على مستثمريها. كذلك الحال بالنسبة لتجار النفط المنقول بالبهاريج، وتجار السلع والبضائع بمختلف مستوياتهم والتي تقع في مناطق أو علي مسارات يمكنه من تهديدها بدون عواقب. وكذلك في أوقات الحصاد تجمع خلايا داعش المنتشرة في بعض القرى أموال الزكاة من أصحاب الملكيات الكبيرة والمتوسطة. وفي بعض الأحيان، وتحت التهديد بالاعتقال، تجبر خلايا داعش الأمنية بعض القادة العسكريين في صفوف قسد على دفع الأموال عن طريق وسطاء.^{١٤}

وعلى الرغم من احتفاظ داعش بالقدرة على إرهاب السكان وعلى شن هجمات شبه مستمرة ضد قسد والمتعاونين معها من المدنيين، إلا أنه يعاني أيضاً من تحديات تواجه تماسكه الداخلي. فكننتيجة للضربات التي تلقاها وللضغط الأمني المستمر، بدأت تظهر بعض المؤشرات على حالة من الفوضى والتخبط وتراجع مستوى الانضباط وأحياناً التنازع في صفوف خلاياه. على سبيل المثال، في قرية غربية في حوض الخابور على سبيل المثال قتل ثلاثة دواعش على الأقل خلال شهري حزيران وتموز ٢٠٢١، من عناصر خلية داعشية أمنية نشطة في المنطقة اثر نزاع نشب بينهم بعد تبادل الاتهام بالتواطؤ مع قسد. ولطالت اتهامات بالسرقة بعض القياديين في داعش بعد سرقتهم أموالاً خاصة بالتنظيم. في حين ينجح

١١ من مقابلة مع أحد المسؤولين في قوات الأمن الداخلي (الأسايش) في مارس/آذار ٢٠٢٢.

١٢ من لقاء أجري في يونيو/حزيران ٢٠٢١ مع أحد سكان بلدة الصور

١٣ من لقاء أجري في يونيو/حزيران ٢٠٢١، مع أحد العاملين في حقول النفط في دير الزور.

١٤ من لقاء أجري في يونيو/حزيران ٢٠٢١، مع صديق لقيادي في مجلس دير الزور العسكري، أضطر إلى دفع ٥ آلاف دولار أمريكي لوحدة من خلايا داعش الأمنية.

١٥ من لقاء أجري في أبريل/نيسان ٢٠٢١، مع وجيه محلي من أبناء المنطقة.

بعض التجار في الإفلات من دفع الأتاوات المفروضة عليهم أو تقليل قيمتها بعد التوسط لدى أقارب أو أصدقاء لهم مقربين من قادة الخلايا الأمنية النشطة لداعش في مناطقهم. لهذه المشكلات تعبر عن فوضي في عملية التجنيد، وكذلك في إجراءات الانضباط الداخلي، واهتزاز في البوصلة الأخلاقية للعناصر. العبرة الهامة هنا هي ضعف السيطرة المركزية للتنظيم علي خلاياه، وعدم وجود تنسيق قوي بينهم في الأطراف.

نظام الحوكمة والأمن في شمال شرق سوريا:

ظهرت داعش في سوريا في ٢٠١٤ في وقت كان فيه شمال شرق سوريا مشرداً بين حزب الاتحاد الديمقراطي وفصائل المعارضة السورية المسلحة. نجحت داعش في هزيمة فصائل المعارضة المسلحة وطردتهم. وتحت وطأة تهديد داعش، اتحد حزب الاتحاد الديمقراطي مع العديد من الفصائل المسلحة من الأقليات والعرب في شمال شرق لتشكيل قوات سوريا الديمقراطية تحت قيادة التحالف الدولي لهزيمة داعش بقيادة الولايات المتحدة مع ٣٠ دولة أخرى. علي التوازي، تشكل نظام حوكمة متمركز حول الاتحاد الديمقراطي بداية في المناطق الكردية (الحسكة، الجزيرة وعفرين) ثم لاحقاً في المناطق العربية مثل دير الزور والرقة تحت مسمى الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. علي الرغم من هيكلها اللامركزي، فإن الإدارة الذاتية تسيطر على الصلاحيات المالية للأطراف بما يلغي مزايا اللامركزية. وعلي الرغم من التمثيل القوي للقواعد الشعبية المتمثلة في وحدات الكومين داخل المجالس التشريعية والتنفيذية، إلا أن التعيينات تأتي من الأعلى ويتمتع عناصر حزب الاتحاد الديمقراطي وحزب المستقبل بسيطرة قوية على مراكز إتخاذ القرار. يشككي العرب والأكراد غير المنتمين لحزب الاتحاد الديمقراطي بشكل خاص من تهميشهم بشكل ممنهج، مما يزيد من السخط العام ويضعف من شرعية الإدارة الذاتية لجهة تمثيلها لسكان المنطقة بتنوعهم وتطلعاتهم المختلفة.

من المهم ملاحظة أن تطور الإدارة الذاتية التنظيمي هو تجريبي ويأتي كردة فعل على تطورات وأحداث محلية. فلم تمتد الإدارة في بداية تشكيلها في ٢٠١٤ للمناطق العربية. حيث حدث ذلك فقط في ٢٠١٧ مع بدايات عمليات التحرير العسكرية من داعش. لم تكن هناك فرصة لإجراء انتخابات شاملة أثناء الحرب ضد داعش، وبعد انتهاء الحرب بدأت عملية إعادة صياغة للعقد الاجتماعي والذي من المتوقع أن يشكل الخلفية الدستورية والقانونية لأي تحديتات في الهيكل التنظيمي والبنية السياسية. أحد أسباب السخط الشعبي هو وجود فجوات كبيرة بين العقد الاجتماعي الذي تم تقديمه في ٢٠١٥ من قبل الاتحاد الديمقراطي وبين الواقع العملي منذ ذلك الوقت حتي الآن في ٢٠٢٢. تحاول الإدارة الذاتية امتصاص هذا الغضب عن طريق عملية إعادة صياغة العقد الاجتماعي بدأت في ٢٠٢٠. علي سبيل المثال، فرغم الصلاحيات الواسعة والمهام المتعددة التي منحها ميثاق العقد الاجتماعي للمجالس التشريعية للمقاطعات، إلا أنه ظل في دير الزور بلا دور ملموس وبقيت السلطة المدنية الفعلية بيد المجلس التنفيذي للمقاطعة، في حين ما يزال ديوان العدالة متعثراً من ناحية البنية وناحية الدور.^{١٦} الحال الذي جعل هياكل الإدارة المدنية الذاتية في دير الزور غير مكتملة من ناحية البنية مقارنة بغيرها من الكانتونات في المناطق الكردية.

خلال خمس سنوات تقريباً بعد تأسيس المجلس المدني، وبدافع الضرورة التي أملتتها الظروف الاقتصادية والخدمية الصعبة التي تعاني منها دير الزور، تفاعل السكان المحليون مع هياكل الحكم المدني الناشئة بعد داعش مجسدة بالمجلس المدني والمجالس المتفرعة عنه، وتجاوزا الكثير من العوائق وأبرزها مشكلة الشرعية باعتبار هذه المجالس غير منتخبة باقتراع عام وتتبع عملياً لسلطة أعلى يهيمن عليها حزب الاتحاد الديمقراطي (pyd) وهو الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني (pkk) الذي يعد أعضاؤه العاملين في مؤسسات الإدارة الذاتية قادة ظل لهذه المؤسسات. لكن ورغم الحمولة

^{١٦} من لقاء أجري في يونيو/حزيران ٢٠٢١ مع تاجر مواد غذائية في منطقة البصرة.

^{١٧} جغرافياً تنقسم دير الزور وفق التسمية المحلية إلى منطقتين رئيسيتين يفصل بينهما نهر الفرات هما منطقة الشامية وتقع جنوب وشرق نهر الفرات و أغلبها تحت سيطرة قوات النظام السوري ومنطقة الجزيرة وتقع شمال وشمال شرق النهر وتقع تحت سيطرة الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا.

^{١٨} يمكن مراجعة المادة ٥٣ من ميثاق العقد الاجتماعي للإدارة الذاتية الديمقراطية: موقع حزب الاتحاد الديمقراطي، محتوى غير مؤرخ <https://bit.ly/3vCuRrv>

^{١٩} ساشا العلو "الإدارة الذاتية: مدخل قضائي في فهم النموذج والتجربة" مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، ص (١٠٢-٨٧) أبريل/نيسان ٢٠٢١

الإيديولوجية لهذا الحزب والتي تظهر بوضوح في أدبيات الإدارة الذاتية، إلا أن مسؤوليها أبدوا قدراً من المرونة في تعاطيهم مع المجتمعات المحلية في دير الزور، الأمر الذي خفف وإلى حد كبير من آثار التباين الثقافي بين السلطة الناشئة بعد داعش وهذه المجتمعات. مثلاً، تجنبت الإدارة الذاتية تطبيق القوانين المتعارضة مع الشريعة الإسلامية في دير الزور مثل القانون الذي يمنع تعدد الزوجات وإلغاء المهر وقانون الإرث.^{٢١}

بالنظر إلى السياق الأوسع، يتضح أن داعش في سوريا ليست بالقوة التي كانت عليها، لكنها ليست بالخطر الذي يمكن تجاهله لتأثيرات ذلك علي وجودها وعملياتها في باقي العالم. تواجهها في سوريا له مبررات موضوعية من انهيار الأمن، والحوكمة والاقتصاد وانعدام الأفق السياسي. كذلك فإن عدم وجود نظام حكم محلي بديل ذو مصداقية وشرعية لفرض الأمن وتقديم الخدمات يساعد في خفض من جاذبية داعش للمنتسبين المحتملين والأعضاء الحاليين يمثل عائفاً أمام التحالف الدولي لهزيمة داعش وكذلك سلطة الأمر الواقع المتمثلة في الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية. يركز الجزء التالي علي تفصيل التحديات الأمنية والاقتصادية والحوكومية والسياسية في ديرالزور والتي تمثل باقي المناطق في شمال شرق سوريا في مجملها.

الجزء الثاني: التحديات

التحديات الأمنية:

يصعب تقييم الوضع الأمني في دير الزور من ناحية مطلقة، حيث تغيب الإحصاءات حول عدد الجرائم وأنواعها ومرتكبيها واستجابة قوات الأمن الداخلي (الأسايش) لها. لو تم التركيز على دير الزور فقط، يبدو أن الوضع الأمني من جهة تهديدات داعش يمثل أكبر مصادر القلق للسكان وفقاً لاستطلاع أعدته منظمة إيمباكت في أيار ٢٠٢٠. لكن في المقابل، يبدو أنه هناك بعض الرضا عن أداء الأسايش في توفير الأمن من الجرائم المنظمة والمنفردة في المدن الكبرى في دير الزور، وذلك مقارنة بالقرى والنواحي المتطرفة التي يخفت فيها وجود الأسايش وتتواجد فيها عناصر داعش. في بعض القرى يوجد أمان نسبي، يذكر الناس بحكم داعش وندرة الجرائم فيه نتيجة للصرامة المطبقة ضد المخالفين. ففي أيام داعش نجحت الأحكام العقابية القاسية التي طبقتها تنظيم داعش على من يتهمهم بارتكاب جرائم بانحسار معدلاتها إلى أدنى حد. وصار من النادر وقوع جرائم سرقة أو قتل أو سطو مسلح على الطرقات بعد أشهر قليلة من سيطرة داعش بعد ٢٠١٤. يقارن السكان هذا الحال بما بعد سقوط داعش وسيطرة الإدارة الذاتية في ٢٠١٩ حيث أضحت أنباء حوادث القتل وسرقة الممتلكات العامة والخاصة ظاهرة شبه يومية في بعض الأطراف. حيث يترصد للصوص وقطاع الطرق على الطرقات العابرين إلى حد لا يأمن فيه سائقو السيارات على أنفسهم خلال التنقل من قرية إلى قرية أخرى مجاورة. هنا تلعب داعش دوراً في توفير الأمن بالتدخل ضد اللصوص، ما يقوي من شرعيتها ويتحدي شرعية الأسايش.^{٢٢}

٢٠ مركز أبحاث ودراسات مينا "الزواج الثاني في مناطق الإدارة الذاتية" ٦ أبريل/نيسان ٢٠١٨ <https://bit.ly/3ivHLR7>

٢١ المرصد السوري لحقوق الإنسان "الإدارة الذاتية تمنع تعدد الزوجات وتصدر قوانين أخرى تخص المرأة" ٩ تشرين الثاني ٢٠١٨ <https://bit.ly/2SHW10a>. في الحالات التي حاولت فيها الإدارة الذاتية، فرض بعض الإجراءات التي ترمي بصلب الهوية الثقافية والدينية لمجتمع دير الزور، أبدي السكان مقاومة ضاربة أفشلت هذه المحاولات على الدوام. حيث رفض الأهالي إلى جانب المعلمين والمعلمات، المنهج الدراسي الذي حاولت الإدارة الذاتية تطبيقه في مدارس دير الزور، لأن بعض مضمون هذا المنهج وفق مبررات رفضهم له، تخالف "معتقداتنا وأعرافنا وشرعنا وتدعووا للانحلال الأخلاقي". وفي الاجتماعات واللقاءات الخاصة التي تجمع المسؤولين المدنيين والعسكريين الأكراد القادمين من محافظة الحسكة بوجهاء عشائر في دير الزور، يقول القادة الأكراد أنهم يدركون استحالة إكراه المجتمعات العشائرية صعبة المراس في دير الزور على الرضوخ لقرارات لا تلائم طبيعتها وثقافتها" وفقاً لمقابلات تمت في يونيو/حزيران ٢٠٢١.

٢٢ الرجاء مراجعة تفصيل عن الاستطلاع في، شورش درويش وجنار أحمد، الأولويات المحلية والاتجاهات في شمال شرق سوريا، من ضمن بحث الزلزال وارتداداته: تركة داعش في سوريا، منظمة إيمباكت، ٢٠٢٢.

<https://impactres.org/ar/aftershocks-the-legacy-of-isis-in-syria/>

٢٣ يحدث هذا رغم تضخم عدد العاملين بقوى الأمن الداخلي والامكانات المادية الكبيرة التي يتمتع بها هذا الجهاز. أحياناً ومن باب الدعاية الميدانية وللتذكير بحالة الأمان السائدة خلال مرحلة داعش، تتدخل خلايا في الحالات التي ينمادى بها اللصوص. ففي مدينة البصرة وبعد أن تكررت سرقة كوابل نحاسية تغذي شبكة إنارة في شارع رئيسي من دون أن تتمكن شرطة المدينة من ردعهم، أقسم خطيب الجمعة في جامع الصفا في المدينة "على من يستطيع حماية شبكة الإنارة وردع اللصوص أن يتدخل" في رسالة غير مباشرة لخلایا داعش النشطة في مدينة البصرة، توقفت التعديلات على الكوابل النحاسية، وعادت شبكة الإنارة للعمل. وفي كثير من المرات التي يستولي فيها شخص ما على ممتلكات شخص آخر أو يتعدى فيها عليه بالضرب، ويتوجه بشكايته إلى مركز قوى الأمن الداخلي، لا يتدخل هذا المركز. فمن بين (١٠٠٠٥٠) شكاوى شهرياً يتلقاها مركز ذيبان لقوى الأمن الداخلي، بمعظمها تتعلق بالمعاملات المالية وحالات الشجار، يتدخل المركز ب ١٠% من هذه الشكاوى. وفقاً لمقابلات أجريت في يونيو/حزيران ٢٠٢١.

في الوقت ذاته، يعاني جهاز العدالة الناشئ من من افتقاده إلى قوة تنفيذ أو شرطة قضائية تساعده على استكمال التحقيق وتنفيذ الأحكام القضائية في حال صدرت أحكام^{٢٤}. لا يساعد ضعف العملية القضائية وإنفاذ القانون على توفير إحساس بالأمن والعدالة. ومن جهتهم، يتحول القضاء إلى وسطاء محليين يحاولون حل القضايا "ودياً" بين الطرفين المتنازعين من أجل تسريع العملية وتقليل الاعتماد على قوات إنفاذ القانون غير المتاحة^{٢٥}. لكن الاعتماد على مسارات غير رسمية لإنفاذ القانون يعطي الفرصة لداعش للتدخل وإظهار نفوذها ومساهمتها في استقرار المناطق التي تنشط فيها. فعلى سبيل المثال، في قضية النزاع المتفاقمة بين عشيرتي الكبيصة المتفرعة من البكير والبوفريو تدخل التنظيم لصالح عشيرة البوفريو التي لم تتحقق مطالبها بانزال العقاب بقتلة أبنائها من الكبيصة. حيث لاحقت خلية تابعة للتنظيم أحد المتورطين بالجريمة وقتلته في منطقة الصور، بعد عام تقريباً على الهجوم الذي شنه أشخاص مقربين من قسد من أبناء الكبيصة على البوفريو^{٢٦}.

لا تساعد مساحة دير الزور الهائلة (٣٣ ألف كم) على توفير عدد كاف من قوات الشرطة لمكافحة الجريمة المنظمة^{٢٧}. ولا تساعد كذلك صحراؤها الممتدة قوات سوريا الديمقراطية على السيطرة على حدودها مع العراق، وكذلك مع الحسكة والرقعة داخل سوريا. أيضاً لا تساعد سيطرة النظام على جزء من المحافظة غرب النهر على ضبط حدود المحافظة وتنظيم الدخول والخروج منها. أشار كثير من الخبراء وأهل المنطقة إلى تركز مراكز تدريب داعش في المنطقة الصحراوية بين مناطق سيطرة قسد والنظام. كذلك أكد الخبراء بأن المناطق العشوائية حول المدن والقرى هي مصدر كمون وتجنيد لعناصر داعش الذين قاموا بعملية الهجوم على سجن غويران في يناير/كانون الثاني ٢٠٢٢. لا تساعد التهديدات بعمليات تركية جديدة في شمال شرق أو غرب سوريا قوات سوريا الديمقراطية على التركيز على مهمة مواجهة داعش. حيث تضطر قسد لحشد عناصرها في الشمال وترك جنوب شمال شرق بدون تغطية أمنية كافية لردع داعش وكبح عناصرها^{٢٩}.

تتمثل الاستجابة للتحديات الأمنية في العديد من العناصر مثل تقوية جهاز الشرطة ودعم انتشاره في القري والمناطق النائية، دعم جهاز العدالة وتقوية انفاذ القانون بالطرق الرسمية، وكذلك دعم وجود قوات سوريا الديمقراطية في صحراء دير الزور وحماية حدودها مع العراق وباقي المناطق السورية. لكن يبقى السؤال: هل تعمل التحديات الأمنية في معزل عن الوضع الاقتصادي والحوكومي؟ هذا ما يناقشه الجزء التالي.

التحديات الاقتصادية والحوكومية:

تركت أيام داعش والحرب عليها ركماً ودماراً هائلاً في كافة القطاعات الاقتصادية كفيل جعل مهمة أي نظام حكم في منتهي الصعوبة. حيث تدمرت البنية التحتية وانقطع طريق ام ٤ (M4) الضروري للتجارة الداخلية وكذلك توقف معبر ربيعة واضطرب العمل في معبر فيشخابور مؤخراً نتيجة للخلافات بين أفراد العراق وسوريا. هذه العزلة الاقتصادية لشمال شرق سوريا إضافة إلى التشرذم الداخلي انعكس في أسعار مرتفعة ومواد أساسية غير متوفرة وبنية تحتية منهارة بدون أمل في الإصلاح. أضاف الجفاف الشديد وانخفاض مستويات المياه القادمة من تركيا إلى مفاومة الوضع حيث تراجع الإنتاج الزراعي والحيواني في شمال شرق سوريا مما أثر على الأمن الغذائي في كل سوريا وكذلك حول الكثير من الفلاحين إلى عاطلين عن العمل. يتداخل نقص المياه مع انقطاع الكهرباء الممتد، في دائرة سوداوية مغلقة. نقص المواد الأساسية أصبح

^{٢٤} للاطلاع الموسع على الجهاز القضائي التاريخي للإدارة الذاتية في دير الزور، أنظر: ساشا العلو "الإدارة الذاتية: مدخل قضائي في فهم النموذج والتجربة" مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، (ص ١٠٠-٢٠١) إبريل ٢٠٢١

^{٢٥} من لقاء خاص بأغراض البحث، أجراه عضو في فريق IMPACT، في مايو/أيار ٢٠٢١، مع قاضي في "النيابة الشرقية" التي تشكل واحدة من دائرتي نيابة في دير الزور

^{٢٦} من لقاء أجري في يونيو/حزيران ٢٠٢١، مع شخص مطلع على تفاصيل التحقيق بجادة القتل

^{٢٧} في الحقيقة من الصعب معرفة عدد قوات الأسايش في محافظة دير الزور نتيجة لعدم وجود الإحصاءات المنشورة.

^{٢٨} من مقابلات مع خبراء من شمال شرق سوريا أجريت في مارس/آذار ٢٠٢٢.

^{٢٩} من مقابلة مع مسؤولين أمنيين في قوات الإدارة الذاتية في مارس/آذار ٢٠٢٢.

^{٣٠} من مقابلة مع خبراء من شمال شرق سوريا في ٢٠٢٢.

مزمناً ومعتاداً في هذه المناطق، حيث لم يتوفر وقود كافي للتدفئة في الشتاء الماضي، بينما تتراوح عدد ساعات الكهرباء في المدن بين ٤-٦ ساعات فقط، و١-٢ ساعة في القرى يومياً.^{٣١}

لا يتوقع أن يكون حال الوضع التعليمي والصحي مختلفاً في هذا السياق التعيس. حيث تعاني المنطقة من قلة المدرسين والمدارس، ومن ندرة الأطباء وقلة وضعف تجهيز المستشفيات. يحتاج الطلبة للمشي مسافات طويلة للدراسة في أماكن غير مجهزة وغير آمنة. كذلك يحتاج مرضي الحالات الحرجة في دير الزور إلى السفر لمدينتي الحسكة والقامشلي أو إلي دمشق لمن يستطيع لعدم وجود تجهيزات ومعدات أو أدوية كافية في مستشفيات المدينة. يترجم هذا الضعف في المؤسسات التعليمية والصحية إلى مستويات أمية مرتفعة، وتجهيز ضعيف لسوق العمل، ومعدلات مرض مزمن واعاقة عالية تحد من العمل، ومعدلات وفيات مرتفعة. من ناحية مطلقة قد تعد الأوضاع التعليمية والصحية في شمال شرق سوريا هي الأسوأ على الإطلاق في كل سوريا. ووفق دراسة أعدتها منظمة امباكت واعتمدت على استبيان رأي أجراه فريق المنظمة في مناطق الإدارة الذاتية بمحافظة الحسكة ودير الزور والرققة^{٣٢} وشمل ٥٠٤ شخصاً في هذه المناطق، قدمت العينة المبحوثة في دير الزور التقييم الأسوأ للأوضاع المعيشية في ظل الإدارة، حيث عدّ ٦٠ بالمئة من الأشخاص المستطلعة آرائهم أن ظروفهم المعيشية سيئة أو سيئة جداً، وانعكاساً لهذا التقييم انخفضت درجة الثقة بالإدارة الذاتية لتكون الأدنى في دير الزور. وقدر تقرير أصدره الفريق القطري لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA) عدد من هم بحاجة ماسة للمساعدة في محافظة دير الزور حتى نهاية العام ٢٠١٧ بأكثر من نصف مليون شخص،^{٣٤} ووفق توزيع السكان حينذاك بين منطقة سيطرة قسد ومنطقة سيطرة النظام في المحافظة، يقيم أكثر من نصف هؤلاء في منطقة قسد. لكن على الرغم من سوء الوضع في دير الزور، فهناك إدراك عام بأنه أفضل الموجود. فوفقاً لأحد المقيمين في دير الزور: "كل شيء في سوريا سيء، ادلب او مناطق النظام. شمال شرق أفضل الموجود. الإدارة تعين الناس، الكثير منهم مطلوبين للنظام وليس لديهم أماكن أخرى يلجؤون إليها، فرص كبيرة للكثيرين، البدائل الأخرى غير جيدة أو أكثر خطورة. الفوضى الأمنية والنهب والسلب في مناطق تركيا مرعب. الامن والأمان هو أولوية للجميع في الوقت الحالي، ويأتي تحسين الوضع الاقتصادي هو الأولوية الثانية".^{٣٥}

هناك فجوة كبيرة في الاستجابة للتحدي الاقتصادي والإنساني تحاول الإدارة الذاتية جسرهما بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني الممولة دولياً. تبدو قدرات الإدارة الذاتية متواضعة من جهة التخطيط والتنفيذ لعمليات التعافي المبكر وإعادة الإعمار. يتعكس نقص الكوادر وقلة الخبرات وكذلك نقص المعلومات في استجابات مرتجلة وتقدم بطيء في المشروعات واتهامات بالفساد تطال مسؤولي الإدارة الذاتية.^{٣٧} لا تنكر قيادات الإدارة الذاتية المشاكل ولا تنفي وجود الفساد، لكن تؤكد علي إنه يمثل حالات فردية ولا منظومة شاملة، وأنه يتركز في الجزء الإداري أكثر من المالي. يعزوا بعض الخبراء من

^{٣١} للمزيد يرجى مراجعة: فابريس بلانش، ١٥ مارس ٢٠٢٢، "كيف يمكن الحفاظ علي الاستقلال الذاتي في شمال شرق سوريا" معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، <https://tinyurl.com/3fwmmmm3>

^{٣٢} من لقاء أجري في شهر يونيو/حزيران ٢٠٢١ مع موظف في هيئة التعليم بمجلس دير الزور المدني.

^{٣٣} مصدر سبق ذكره.

^{٣٤} منشورات OCHA "لمحة عن الاحتياجات الإنسانية ٢٠١٩.. الجمهورية العربية السورية" آذار ٢٠١٩ متوافر للتحميل عبر الرابط <https://bit.ly/3ACBnPR>

^{٣٥} من مقابلة أجريت في مارس/آذار ٢٠٢٢ مع أحد المقيمين في المنطقة.

^{٣٦} من مقابلات مع أكثر من مسؤول وخبير من المنطقة أجريت في مارس/آذار ٢٠٢٢.

^{٣٧} في معظم الحالات كانت استجابات مجلس دير الزور لقضايا الخدمات والصحة والتعليم والزراعة مرتجلة ولا تتم عن تخطيط مسبق بل تأتي إما في إطار الاسترضاء المحدود غالباً للمجتمعات المحلية العاضبة من تعثر

المجلس بتأدية وظائفه، أو تماشياً مع تدخل المنظمات غير الحكومية السورية والأجنبية، ووكالات التنمية الدولية التي كان لها الدور الرئيسي في القليل الذي تحقق من تعافي. فعلى سبيل المثال أعادت بعض المنظمات غير الحكومية مثل منظمة فرانتا للتنمية تأهيل أكثر من ١٠٠ مدرسة في البلدات الممتدة بين أبو حماد والباغوز شرق دير الزور وأجرت المنظمة نفسها أعمال الصيانة والتشغيل لمنظومة الري التي تغطي مئات الهكتارات من الأراضي الزراعية في بلدي أبو حماد والكشكية. ونفذت منظمة بداية أعمال الترميم لـ ١٠٠ مدرسة تقريباً بين مدينة البصرة وبلدة أبو حردوب إضافة إلى بعض القرى في الريف الشمالي المحاذية لنهر الخابور. بعد التنفيذ

تشغل المنظمات مشاريعها عادة بضعة أشهر للتجريب قبل أن تسلمها للجان المختصة التابعة للمجلس المدني وفروعه على مستوى البلدات التي يترتب عليها مواصلة التشغيل وإجراء أعمال الصيانة الطارئة في المشاريع

التي تسلمتها. في كثير من الحالات تسببت الفوضى الإدارية والفساد واللامبالاة لدى بعض مسؤولي المجلس والمجالس المحلية الفرعية، في تدهور إنتاجية هذه المشاريع أو توقفها لوقت طويل وأحياناً خروجها عن

الخدمة. ففي المشروع الزراعي الذي نفذته منظمة انصاف للتنمية لإرواء ٥٠٠ هكتار تقريباً من الأرض في بلدة الشعفة شرق دير الزور بين أيلول وكانون الأول ٢٠١٩، شغلت المنظمة محطة الري التي أعادت تأهيلها مدة

ثلاثة أشهر وسلمتها للمجلس المحلي في البلدة، لم تلبث محطة الري أن توقفت عن العمل بعد أسابيع من تولي المجلس إدارة وتشغيل المحطة التي تعرضت لسرقة بعض تجهيزاتها نتيجة لتغيب الحراس عن الدوام

بسبب تأخر المجلس بدفع رواتبهم. وفي تأهيل مشروع جر مياه نهر الفرات إلى مجرى نهر الخابور قرب بلدة الصور شمال دير الزور، الذي مولته وكالة تنمية تابعة للخارجية الأمريكية، تعثرت لأكثر من مرة وخلال عامين

تقريباً عملية تشغيل محطة الضخ الرئيسية على نهر الفرات بسبب التخطيط القاصر والارتجال في محاولات تأمين الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المحطات.

الإدارة وخارجها الفساد لعدم وجود كود وظيفي وقوانين تحدد حدود سلطات المؤسسات والأفراد من أجل منع وكشف الممارسات الإدارية غير السليمة، وكذلك لعدم وجود نظام محاسبي صارم وشامل وموثق. إلا يتوقع في الحقيقة أن يكون هناك آتمته للعمليات الإدارية في حال عدم انتظام الكهرباء. لكن الوضع أسوء من ذلك، حيث لا توجد لدي الإدارة الذاتية دفاتر توثق المعاملات المالية وتتيحها بسهولة للمدققين. يجب أن نتذكر أن أول ميزانية معلنة ومفصلة للإدارة الذاتية كانت في ٢٠٢١، بعد أكثر من سبع سنوات علي نشأتها. هناك بالفعل جهود بهذا الصدد، لكنها تسير بسرعة لا تتوازي مع التطورات والتوقعات.^{٣٩}

الفجوة المالية أيضاً كبيرة، حيث إن المصادر المالية المحلية تكفي بالكاد لتغطية المصاريف الأساسية للإدارة من أجور وإنفاق عسكري وأمني لقسد والأسايش. لا توجد ميزانيات للاستثمار في تحسين البنية التحتية. قلة الموارد مقارنة بالفجوة المالية قد تبدو مفاجأة للكثير من الخبراء وبالتأكيد سكان دير الزور. السبب هو وجود النفط في دير الزور، والذي يعطي انطبعاً بالغني غير صحيح. نقصد تكون المشكلة في طريقة تعامل الإدارة مع عوائد النفط وكيفية ادماج سكان دير الزور في عملية الإنتاج والتسويق ومشاركتهم في العوائد. تذهب عوائد النفط إلى مركز الإدارة الذاتية في الرقة حيث يتم صرفها مركزياً. يولد هذا إحساساً عاماً لدي مواطني دير الزور ونخبتهما بالغبن نتيجة قلة المخصصات المالية للسكان مقارنة بإنتاج النفط الخارج من مناطقهم. يحس سكان دير الزور بأن الخدمات والبنية التحتية في المناطق الكردية أفضل، وأن هذا يمثل أحد أبعاد التمييز ضدهم. يقارن سكان دير الزور بإدارة داعش اللامركزية للنفط من حيث سمحت للسكان بالتكرير والاستفادة من العوائد مباشرة. كنتيجة لتركز العوائد في المدينة، خلقت صناعة النفط وظائف أدت إلى دعم شعبية التنظيم في دير الزور. في المقابل، منعت الإدارة الذاتية مصافي التكرير البدائية وتولت إدارة الإنتاج والتسويق والتمويل من المركز بدون حتى التشاور مع المجلس المدني لدير الزور. لسوء حظ الإدارة الذاتية لم تترافق مركز السيطرة على قطاع النفط زيادات في الإنتاج نتيجة لمشاكل الصيانة، ونضوب الحقول، مما قلل الإيرادات بشكل عام، ونصيب دير الزور بشكل خاص. إلا تساعد قلة البيانات والإحصاءات ولا وجود جهات متخصصة ذات مصداقية للتحقيق والتقصي بخصوص هذه القضايا على حسم الجدول الدائر. في نظر الكثيرين لا تختلف الإدارة الذاتية عن النظام من جهة النزاهة، لكن "وجود مؤسسة لضبط الأمور يعطي إحساساً بالعدالة في ظل الحكومة السورية، حتى لو كان زائفاً"، كما عبر أحد الخبراء.^{٤١} وفي ظل أجواء الغموض وانتشار التشاؤم والعنف، تصبح رواية داعش بأن الإدارة الذاتية تسرق النفط وتميز ضد العرب أكثر جاذبية، مما يساهم في دعم شعور غاضب تجاه قسد والإدارة الذاتية يتم استغلاله للتجنيد وزيادة الدعم والتعاطف مع داعش.^{٤٥}

٣٨ من مقابلات مع خبراء ومسؤولين في الإدارة الذاتية أجريت في مارس/آذار ٢٠٢٢.
٣٩ أقر كثير من الذين تمت مقابلتهم بجهود الإدارة الذاتية لمكافحة الفساد. لكنهم أشاروا إلى المشكلات البنوية في هيكلها وعلاقتها بالسكان وسيطرة العناصر المؤدلجة وكذلك عدم الاستقرار الأمني والسياسي كأسباب لبطء التقدم.

٤٠ من مقابلة مع أحد المسؤولين في الإدارة الذاتية في مارس/آذار ٢٠٢٢.

٤١ وفقاً لمقابلة مع أحد المسؤولين في مجلس دير الزور المدني في مارس/آذار ٢٠٢٢.

٤٢ من مقابلات أجريت مع مواطنين من دير الزور في مارس/آذار ٢٠٢٢.

٤٣ انخفضت على سبيل المثال انتاجية الأبار الواقعة في الموقع الرئيسي لحقل العزبة من ٥ آلاف برميل في العام ٢٠١٩ إلى ٢٥٠٠ برميل/يوم في ربيع ٢٠٢١، نتيجة لأوامر فنية خرقاء أصدرها الكادرو المشرف على الحقل واضطر الفنيون لتنفيذها وانخفض إجمالي الإنتاج إلى أقل من ٢٠ ألف برميل/يوم من جميع الحقول والأبار في منطقة الإدارة الذاتية في دير الزور. من ضمن سلسلة لقاءات أجريت في مايو/أيار ٢٠٢١، مع فنيين في المنشآت النفطية في دير الزور.

٤٤ من مقابلة مع أحد الخبراء في الإدارة الذاتية في مارس ٢٠٢٢.

٤٥ من المهم تذكر أنه كان لتوافر النفط بأسعار رخيصة خلال سنوات داعش في دير الزور، عاملاً رئيسياً ساعد التنظيم على توفير الحد الأدنى من الخدمات الضرورية. إضافة إلى فرص العمل التي أتاحتها طريقة داعش في تشغيل واستثمار منشآت النفط، عززت وفرة النفط من قدرة التنظيم على تقديم بعض الخدمات الحيوية للسكان. فاعتماداً على محطة توليد الكهرباء في حقل العمر ومحطة أصغر في حقل التيم استطاع التنظيم توصيل التيار الكهربائي إلى آلاف المنازل بين منطقتي الجزيرة والشامية، وإلى محطات تصفية المياه في عشرات القرى والبلدات. كذلك بالنسبة لأفران الخبز التي وفر لها التنظيم إمدادات ثابتة من الوقود والطحين وفرض في الوقت نفسه رقابة صارمة على مشغليها. بالمقابل لم تنجح الإدارة الذاتية في الحفاظ على المستوى ذاته من الخدمات التي كان يقدمها التنظيم، حيث لم تبذل الجهود الكافية لتوفير تغذية كهربائية مستمرة وكافية وظلت معتمدة على المخصصات الضئيلة القادمة من سد الفرات. الرجاء مراجعة: جورج فهمي ومنهل بارنيش وراشد عثمان "سقطت الدولة وبقي التنظيم: الحل العسكري غير كافٍ لهزيمة داعش في سوريا" تقرير مشروع بحثي (فلورنسا إيطاليا): مشروع زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا) معهد الجامعة الأوروبية، نيسان ٢٠٢١، <https://bit.ly/3zGUFEO>

في مواجهة التحديات الاقتصادية والتنموية يجب توفير موارد مالية للاستثمار في البنية التحتية المنهارة وخلق بنية جاذبة للاستثمارات التي من شأنها خلق الوظائف ودعم النمو والنهوض بالمنطقة ككل. لكن كيف يمكن جذب استثمارات لمنطقة تحكمها إدارة غير معترف بها دولياً، وتعاني كل مؤسساتها من ضعف كبير للشرعية، في بلد مازال يزرع تحت حرب متعددة الأطراف بدون حل سياسي في الأفق؟ يتناول الجزء التالي التحديات السياسية والاجتماعية لشمال شرق سوريا ودير الزور.

التحديات السياسية والاجتماعية:

تمثل التحديات السياسية في ضعف شرعية المؤسسات القائمة في شمال شرق، وكذلك بدائلها في أنحاء سوريا المختلفة. فعلي سبيل المثال، ٤٤٪ من المستقvisين في دراسة ايمباكت في دير الزور لا يرون أن أيًا من اللاعبين السياسيين الحاليين ممثلين لهم، في مقابل ٣٤٪ فقط منهم يرون أن الإدارة الذاتية هي الأقرب لهم مقارنة بحكومة دمشق أو ائتلاف المعارضة السورية. تمتد أزمة الشرعية لأبعد من دير الزور. حيث إنه في كل شمال شرق سوريا، شعر أكثر من ٥٥٪ من المستقvisين بأنهم غير ممثلين سياسياً بشكل عام، وأنه لا أحد من اللاعبين الحاليين في شمال شرق سوريا يمثل رؤاهم وتطلعاتهم السياسية. داخل محافظة الحسكة ذات الأغلبية الكردية، ربع المستقvisين فقط ذكروا اسم أحد الأحزاب الكردية الرئيسية مثل الاتحاد الديمقراطي أو أحزاب المجلس الوطني الكردي، وهذا يؤشر لضعف شرعية الخيارات الكردية بالنسبة للکرد أنفسهم. وفي الرقة ذات الأغلبية العربية ذكرت أقلية من ٣٠٪ الائتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة كممثل سياسي لهم، ما يعني أن ٧٠٪ من العرب أيضاً لا يؤيدون أيًا من الخيارات العربية المتاحة. في كل الأحوال، لم تحصل الحكومة السورية على أكثر من ٩٪ من أصوات المستقvisين في كل شمال شرق سوريا من حيث كونها الجهة السياسية التي تمثل تطلعاتهم.^{٤٦}

إن شرعية المؤسسات ليست فقط مرتبطة بجودة الخدمات، والتي هي متدهورة في كل سوريا بلا استثناء. حيث أن بعداً مهماً للشرعية السياسية للمؤسسات يأتي باعتراف المجتمعات بالسلطات وخدماتها ووثاقها. علي سبيل المثال، التعليم في شمال شرق سوريا يقدم عن طريقتين: مدارس الإدارة الذاتية، ومدارس الحكومة السورية. بعيداً عن جودة التدريس والتي هي مهمة للغاية، هناك بعد سياسي مرتبط بالتعليم وهو المقرر الدراسي ومحتواه، ولغة التدريس، وكذلك الاعتراف بالشهادات التي تمنحها هذه المدارس. من المتفهم أن يفضل الأكراد أينما كانوا التدريس باللغة الكردية لمقررات مفروضة من الإدارة الذاتية، وأن يفضل العرب التدريس بالعربية لمقررات مفروضة من حكومة دمشق أو حكومة الائتلاف (الحكومة السورية المؤقتة). لكن كلاً من العرب والأكراد سيعانون لو لم يتم الاعتراف بشهادات هذه المدارس داخل المناطق الكردية وخارجها. مشكلة عدم اعتراف باقي المناطق السورية وكذلك العالم بشهادات مدارس الإدارة الذاتية يعكس مشكلة شرعية الإدارة على المستوى الوطني وكذلك الدولي، وتأثيرها على جاذبيتها الداخلية.^{٤٧}

أحد التحديات الاجتماعية الأخرى في شمال شرق سوريا هي عمق روايب داعش الثقافية والتي تجد لها جذوراً في البنية القبلية ذات الفهم السلفي للإسلام. فبعد ثلاثة أعوام على اندحار التنظيم، واصلت أغلبية السكان تأدية عباداتها وفق الصورة والنهج السلفي الذي طبقه تنظيم داعش خلال سنوات سيطرته في دير الزور.^{٤٨} لقد يكون من الصعب فهم التناقض الكامن في سلوك مجتمع عانى بشكل وحشي من جماعة ذات فكر معين وقاسي، لكنه في نفس الوقت مازال يتبع نهجها

^{٤٦} شورش درويش و جلتار أحمد، مصدر سبق ذكره.

^{٤٧} من مقابلة مع أحد الخبراء أجريت في مارس/آذار ٢٠٢٢.

^{٤٨} فمثلاً، من جهة العبادات الدينية، ما يزال معظم الأئمة والمصلين يؤدون عبادتهم في المساجد وفق الهيئة التي فرضها التنظيم خلال سيطرته. وعلى صعيد العادات كفت أغلبية الرجال عن قراءة الفاتحة في جلسات العزاء، وفي الشوارع ما يزال الزي الشائع للنساء هو الجلباب الأسود الواسع الذي فرضه تنظيم داعش. تظهر هذه الآثار حتى على بعض الأشخاص الذين ناهضوا التنظيم ورفضوا بيعته وتعرضوا للسجن والعقاب. ورغم ثبات موقفهم ضد داعش حتى الآن، إلا أنهم لا يتكرونها دورها في "تقويم بعض العادات والعبادات والعقائد لتعود إلى أصل الشرعية". من لقاء أجري يونيو ٢٠٢١، مع رجل اضطره التنظيم وعذب في سجنه، لكنه غير في طريقة تأدية صلواته وفي بعض هيئته تأثراً بداعش وحتى الآن.

ولو بشكل ضمني.^٩ لكن قد يمكن فهم هذا التناقض بأن الثقافة الدينية المحافظة سابقة على وجود داعش، وأن جذور هذه الثقافة غير ذات علاقة بالتنظيم. من ناحية أخرى، هذا يشير أيضاً لقدرة داعش على خلق مساحة مشتركة مع المجتمع لم تنجح القوي الحالية في استغلالها. على العكس، تبدوا أيديولوجية الإدارة الذاتية مناقضة ومنافية لسلوك العوام في دير الزور ومعاكسة لمنطق حياتهم. ينعكس هذا التناقض في انخفاض نسب الانخراط السياسي في الإدارة ومؤسساتها وربما نشوء أشكال مقاومة سلبية أو فعالة ضد سياساتها. لا يمكن في هذا السياق التقليل من أهمية الخوف من داعش أيضاً كأحد العوامل المثبطة للإنخراط في أنشطة الإدارة وهيكلها.^{١٠}

تحدي اجتماعي آخر للمؤسسات القائمة هو التشرذم الاجتماعي وعدم استقرار الكتل السكانية نتيجة للزوح المتكرر منذ بداية الحرب في ٢٠١١. حيث أن تبعات النزوح والاستقرار المؤقت في دير الزور تتعدى ارتفاع تكلفة الحاجات الاغاثية والإنسانية. حيث أن وجود هؤلاء النازحين يخلق مشكلات أمنية مزمنة من جهة صعوبة مراقبتهم، وإمكان تخفي عناصر داعش في معسكراتهم وصعوبة اثبات هوياتهم. ساهم النزوح واللجوء في تغذية مظاهر التفكك الاجتماعي التي أفرزتها حالة الانقسام لأسباب سياسية متعلقة بالمواقف المتباينة التي اتخذها كل فرد أو كل عائلة أو كل مجموعة عشائرية تجاه القوى والأطراف المتصارعة اليوم أو تصارعت سابقاً في دير الزور، سواء كان النظام أو المعارضة أو تنظيم داعش أو جبهة النصرة أو قسد والإدارة الذاتية. فبين مجموعة عشائرية وأخرى، وفي داخل المجموعة ذاتها وفي العائلة الواحدة أيضاً، قد تظهر مواقف يتخذها أفرادها تؤيد طرفاً ضد طرف آخر. كما يعقد تقلب الولاء لدى بعض الأفراد من طرف إلى آخر بحسب ميزان القوى السائد من حدة الانقسام المجتمعي الذي يتغذى أيضاً بدوافع أخرى تتعلق بالمصالح الخاصة بكل فرد وعائلة ومجموعة عشائرية، فضلاً عن حالة التنافس بين العوائل وبين المجموعات. كذلك يضعف التفكك الاجتماعي من دور القادة الاجتماعيين التقليديين مجسدين بزعماء العشائر ويجعل من الصفة التمثيلية التي يتخذونها خلال مشاركتهم في الشأن العام محل تشكيك في مجتمعاتهم ما يقلل من دور معظمهم ومن تأثيرهم على هذه المجتمعات وعلى مسؤولي الإدارة الذاتية في الوقت نفسه. في المحصلة، يفكك النزوح تماسك القوي السياسية ويشرذمها، مما يضعف أي عملية تمثيلية سواء من خلال الانتخابات أو تشكيل المجالس بالتعيين أو الاختيار. وفي حال انتشار السلاح، وغياب الأمن والاحساس بالعدالة، وعدم وجود ممثل سياسي للكتل السياسية، يصبح العنف هو الطريق لحل النزاعات.^{١١}

في هذا المجتمع العشائري المشرذم والمنهك بعد الحرب وتاريخ طويل من المظلوميات المتراكمة كان من المتوقع أن يكون ممتناً لأي قوة تطيح بداعش وتقدم الخدمات المادية له. لكن لا توجد ضمانه لدعم هذه القوة الجديدة لو لم تستمع لمتطلباته وتحمل آلامه وتوقعاته. على المستوى السياسي مثل مجلس دير الزور المدني المركز الكردي للإدارة الذاتية بأكثر من تمثيله لعرب دير الزور. سعت الإدارة الذاتية لتمثيل العرب فيه، لكن نتيجة للمركزية الشديدة وعدم وجود آليه انتخاب ومحاسبة، فقدت المكونات العربية شرعيتها لدى جماهيرها. وأبخلاف ما ينطوي عليه نهج اللامركزية الذي تتبناه الإدارة الذاتية من صلاحيات واسعة لمؤسسات الحكم المحلي مجسدة بالمجالس المدنية، ظلت السلطة الفعلية لاتخاذ القرار حكراً على أعضاء حزب العمال الكردستاني "الكادرو" الذين يعملون في الظل ومن خلال شبكة متعددة المستويات تبدو "مركز مناقشة واتخاذ القرارات الاستراتيجية".^{١٢} لم تأخذ القوي الحالية في حسابها

٩٤ الشبكة السورية لحقوق الإنسان "التعذيب ومراكز الاحتجاز لدى تنظيم داعش... القاع الأسود" نيسان ٢٠١٦، <https://bit.ly/3xleOrc>

٥٠ الكثير من النشاط والفاعلين المحليين وبين خطباء وائمة المساجد والعاملين في الحقل التعليمي يجمعون عن الانخراط ببرامج الإدارة الذاتية بسبب الخوف من ردة فعل التنظيم. حيث يحرص المعلنون على عدم انتقاد تنظيم داعش أمام طلابهم أو تصحيح بعض المفاهيم والسلوكيات التي أشاعها التنظيم، كذلك يفعل خطباء الجوامع خوفاً من انتقام داعش. يقدر عدد المساجد في منطقة الإدارة الذاتية في دير الزور ٣٥٠ مسجداً، يتولى الأهالي على مستوى الأحياء والبلدات والقرى العناية بها، وتعيين القائمين عليها من أئمة وخطباء. هذا بحسب موظف في مكتب الأوقاف التابع لمجلس دير الزور المدني.

٥١ لا تنحصر آثار التفكك على المجتمع فحسب، بل تعداها في حالات كثيرة إلى هياكل الحكم المدنية والعسكرية الناشئة بعد داعش في دير الزور. فبسبب التفكك والتنافس العشائري في الوقت نفسه، يتحاشى في بعض الحالات أبناء عشيرة أو مجموعة عشائرية معينة أن يعملوا تحت قيادة مسؤول من عشيرة أخرى. فعلى سبيل المثال لوحظ أن دفعات المتطوعين الجدد في صفوف قسد من أبناء عشيرة البوكامل في بلدة الشحيل رفضوا التطوع في صفوف قوات حماية المنشآت النفطية التي يقودها أحد أبناء العشيرة على التطوع في صفوف مجلس دير الزور العسكري الذي يقوده شخص من عشيرة البكير المنافسة للبوكامل، ولأسباب مشابهة فضل المئات من أبناء عشيرة الشعيطات في بلدات أبو حمام والكشكية وقرانج تشكيل لواء خاص بهم ضمن قوات حماية الشعب. وفقاً للقاءات أجريت في يونيو ٢٠٢١ مع أربعة عناصر وقادة محليين في صفوف قسد.

٥٢ يقبى كل من مجلس دير الزور العسكري ومجلس دير الزور المدني، شعارات الإدارة الذاتية المشتقة من شعارات PYD وأدبياته.

٥٣ حايه حايه "نماذج الحكومة المحلية في سوريا-دراسة مرجعية" الاسكوا، يوليو/تموز ٢٠٢٠

المظلومية العربية السنوية التي تشكل العامل التاريخي والجذري الأهم في نشأة التطرف وتغذيته المستمرة. وبالرغم من أن تنظيم داعش لا يفرق بين أعدائه، ولا يقيم من حيث الجوهر العقائدي وزناً للبعد القومي، إلا أنه استخدم العامل القومي إلى جانب الديني في تعبئة العرب السنة في معاركه. فخلال الاجتماعات التي عقدها ديوان العلاقات العامة التابع لتنظيم داعش مع وجهاء العشائر في دير الزور خلال العام الأخير قبل سقوط دولته حاول مسؤولو الديوان تعبئة العشائر في صف التنظيم ضد قسد على أساس أنها قوة كردية تريد احتلال المنطقة، وعدّوا العرب المنخرطين في صفوف قسد مجرد "مرتزقة ومرتدين". وبالرغم من صعود بعض الشخصيات العربية من أبناء دير الزور داخل مؤسسات وهيكل السلطة العسكرية والمدنية المتشكلة بعد داعش في دير الزور، واتساع نفوذها وتأثيرها على المستوى المحلي إلا أن إعلام التنظيم ودعايته ما تزال تصور الإدارة الذاتية على أنها سلطة غريبة يقودها "ملاحدة الأكراد" وفق لغة التنظيم^{٥٥}. وفي ظل تفاقم الأزمات التي تعاني منها المنطقة وتعقيدها، يصعب فصل الأثر الخاص لهذه الدعاية على السكان من الأثر الهائل للأزمات المتعاقبة.^{٥٦}

تتمثل العواقب الفورية للتوتر بين العرب والأكراد ضمن مؤسسات الإدارة الذاتية أو في صفوف قسد في اضعاف تماسكها ووحدتها، ويساهم في عزلها عن المجتمع ويحد من قدرتها على مواجهة التحديات المتنوعة التي تواجهها في دير الزور، ولا سيما التحدي الأمني الذي يجسده تنظيم داعش. ففي الحالات التي تعمل فيها خلايا أمنية تابعة للتنظيم على نحو شبه علني، يحجم السكان المحليون عن إبلاغ أجهزة قسد الأمنية عنها، فإلى جانب الخوف من انتقام داعش، لا يجد السكان دوافع كافية للإبلاغ عن هذه الخلايا أو التورط في الصراع بين داعش وقسد لصالح طرف ضد طرف آخر، لا سيما مع عجز قسد عن حماية المتعاونين الأمنيين معها كما تظهر سهولة العمليات الانتقامية التي ينفذها التنظيم ضدهم.

خاتمة

مثلت السطور السابقة محاولة للإجابة على سؤال البحث وهو هل يمكن حل مشكلة داعش بدون حل مشكلة سوريا؟ تمثل سوريا نموذجاً فريداً في مكافحة الإرهاب، حيث يتضح أن الحل الأمثل هو الأضع وربما الوحيد الممكن للتعامل مع داعش وتقليل خطرة في الوقت الحالي، لكنه بالتأكيد ليس كافياً. فبمقارنة أداء داعش المتواضع في سوريا مقارنة بباقي المناطق التي ينشط فيها عالمياً تظهر أهمية جهود التحالف العالمي بقيادة الولايات المتحدة لوضع حد لاستعادته لمجده المفقود. تتشارك سوريا مع أفغانستان ودول أفريقية عديدة في مظاهر انهيار الدولة (خدمات متدهورة وأمن غائب وحدود طويلة متسببة وشرعية مهلهلة ومتنازع عليها)، وعلى الرغم من ذلك فإن أداء داعش فيها أضعف من باقي المناطق الشبيهة في هذه الخصائص. لكن سوريا ستظل مهمة لداعش لأسباب رمزية وعملية عديدة، وستظل محاولاته لتقوية نفوذه هناك رغم كل الجهود الدولية والمحلية. هذا يعني عدم التراخي في محاربة التنظيم أمنياً وعسكرياً، وكذلك بذل جهد أكبر لتقليل جاذبيته لدى الشباب وتقليل الموارد المالية المتاحة له لاستطالة نفسه المتقطع. يكون هذا بزيادة شرعية البني السياسية وتدعيم قدرات المؤسسات الخدمية وعدم التواني عن التوصل لحل سياسي شامل للنزاع القائم في سوريا رغم التحديات الجمة.

هناك العديد من السيناريوهات للمستقبل السياسي لشمال شرق والتي ستؤثر بشكل كبير على قدرات مكافحة داعش. أولها وأكثرها احتمالاً هو استمرار وجود قوات التحالف الدولي، وأيضاً استمرار الوضع المشرد كما هو عليه لفترة من الزمن. هذا السيناريو يضمن وجود قوة لردع داعش، لكن لا يضمن نشوء مؤسسات ذات شرعية وقدرة متحسنة نسبياً على تقديم الخدمات والأمن بشكل متساوي. السيناريو الثاني هو مغادرة قوات التحالف الدولي، واستعادة النظام السوري السيطرة على شمال شرق سوريا، وربما أجزاء من شمال غربها في حال التوصل لاتفاق مع تركيا ومغادرتها الكلية أو الجزئية.

^{٥٤} محمد أبو رمان "مستقبل داعش: عوامل القوة والضعف، ديناميكيات الخلافة الافتراضية وفجوة استراتيجيات مكافحة الإرهاب" مؤسسة فريدريش إيريت مكتب الأردن والعراق، أكتوبر ٢٠٢٠

^{٥٥} وفقاً لأحد الذين تمت مقابلتهم في مارس ٢٠٢٢ الذي قال: " الانضمام للإدارة يكردن الشخص ولا يجلب شرعية للمجالس. أعضاء المجالس يفقدون شرعيتهم المحلية بالانضمام للإدارة."

^{٥٦} هناك دوماً مطالبات محلية بزيادة تمثيل العرب داخل الإدارة. فإثر اغتيال أحد زعماء قبيلة العكيدات، طالب بيان أصدرته القبيلة التحالف الدولي الذي "أسس سلطات الأمر الواقع ويشرف عليها" بتسليم المنطقة لأبنائها "على أن يأخذ المكون العربي دوره الكامل في إدارة مناطقه وقيادتها". أنظر مركز دير الزور الإعلامي "بيان قبيلة العكيدات إلى التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية" فيسبوك، ١١ أبريل ٢٠٢٠،

<https://bit.ly/3gekBPO>

هذا السيناريو قد يساعد في تشكيل أفق سياسي أفضل، لكن ينذر بفوضى عابرة للحدود مع فقدان القدرة على الردع العسكري والضبط الأمني لشمال شرق سوريا بحدودها الممتدة مع العراق وكذلك الأردن.

من الصعب فصل مشاكل سوريا كنزاع مفتوح عن مشكلة نشاط داعش فيها وتأثيراته العالمية. في ظل عدم وجود حل سياسي وفقدان الحد الأدنى من الأمن والبنية التحتية، سيصعب على المانحين الدوليين التركيز على تحسين الوضع الاقتصادي في شمال شرق سوريا. يخشى الكثيرون من ردود الفعل الغاضبة المتوقعة من تركيا والحكومة السورية وإيران وكذلك روسيا. على الرغم من ذلك، يجب على المانحين الاستمرار في دعم الجهود الرامية لتحسين تمثيل المؤسسات للتنوع المجتمعي، تقوية قدراتها على تقديم الخدمات وجمع الإيرادات، وكذلك دعم المصالحة المجتمعية.

لكن إذا كانت هناك قدرة على الاختيار فيما يتعلق بسياسة مكافحة داعش، فيجب العمل على تقليل أخطار السجون والمخيمات التي تمثل مركز تجمع هائل للتنظيم وهدفاً في حد ذاته لأنشطته في سوريا. إذا تم تقليل عدد سكان المخيمات من العراقيين والسوريين والذين يتمثلون أكثر من نصف القاطنين سيمثل هذا انجازاً كبيراً وتقليلاً لمخاطر مستقبلية كبيرة وأكيدة. يلي ذلك في الأهمية توفير مخرج آمن وكريم للأطفال واليا فعين الذين يتمثلون أكثر من ٧٠٪ من سكان المخيمات. يعني ترك هؤلاء الأطفال في المخيمات بدون تعليم ورعاية صحية وبدون فرصة لاستكشاف بدائل أفضل لمستقبلهم أن داعش ستصبح هي الحاضن الوحيد الذي يمكن أن يستقبلهم ويعطيهم معني للحياة بعد ما أغلقت أمامهم كل الأبواب.